# السنة الأولى ماستر

**التخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830**

# المقياس: العلاقات الجزائرية الأوربية 1

# المحور الأول: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية

**3- معاهدتا الجزائر مع إسبانيا 1786 و 1791**

**أ.د عبد القادر فكاير**

لقد ظلت العلاقات السياسية بين الجزائر وأسبانيا في حالة حرب ، منذ بداية القرن السادس عشر، إثر الحملات التي شنها الأسبان على كثير من السواحل الجزائرية. ورغم تمكن الدولة الجزائرية من إفشال مخططهم في احتلال مدينة الجزائر وتحرير مواقع أخرى من نفوذهم، إلا أن الأسبان تمكنوا من البقاء مدة أطول في وهران والمرسى الكبير. ولذلك ظلت العلاقات بين البلدين في حالة حرب يسودها التوتر، وتأخرت حالة السلم بين البلدين وعقد المعاهدات إلى أواخر القرن 18 ، حيث تم عقد معاهدتي 1786 و 1791.

**1 ـ سياسة التفاوض بين البلدين :**

لقد سعت أسبانيا إلى التفاوض مع حكومة الجزائر من أجل التوصل لإبرام صلح معه بوساطة عثمانية، لكن الداي محمد بن عثمان باشا رفض كل المساومات ما دامت أسبانيا تحتل وهران والمرسى الكبير. ولهذا عزم كارلوس الثالث على استعمال القوة في ضرب مدينة الجزائر عسكريا وفرض شروطه على الداي ، وهكذا تعرضت مدينة الجزائر إلى حملة أوريللي سنة 1775، لكنها فشلت في تحقيق هدفها. وفي سنة 1776 ظهرت مبادرة فرنسية لتحقيق رغبة أسبانيا، وأعدت مشروعا للمفاوضات بين أسبانيا والجزائر سنة 1776، عبر قنصلها السابق في الجزائر جون أونطوان فاليير (Jean Antoine Vallière) من أجل لتدعيم حليفتها أسبانيا ضد الإنكليز الذين كانوا مشغولين بحرب التحرير الأمريكية. لكن تلك المساعي باءت بالفشل. وراح الداي يعزز قواته، وتحصل على دعم السكان. ولكي تتفرغ أسبانيا للجزائر راح ملكها يبرم معاهدات مع بعض الدول الإسلامية ، لكي يضغط عن طريقهم على الجزائر لإمضاء معاهدة مع أسبانيا. ومع فشل تلك المساعي استمر العداء بين البلدين مما دفع بأسبانيا إلى تجديد غارتين متتالين خلال سنتي 1783، 1784 على الجزائر.

**2 ـ معاهدة الصلح بين البلدين سنة 1786 :**

بعدما فشلت حملتيا أونطونيو بارثيليو على مدينة الجزائر سنة 1783، 1784، وفشلت كل المساعي الديبلوماسية التي كانت تحمل شروطا مسبقة، التي يفهم منها فرض السلم على الجزائر. لذا اهتدت إسبانيا إلى أسلوب التفاوض ، فتجاوبت الجزائر معها .

وفي شهر جوان 1785 حل بمدينة الجزائر مندوبان وهـما الكونـت ديسـبيلي (d’Espilly) والأمـيرال ''ماثاريـدو'' ( Mazzaredo) للتفاوض وتذليل نقاط الخلاف بين البلدين، وقد لعب دور الوسيط القنصل الفرنسي ''دي كيرسي''(De Kercy). وبعد مفاوضات استمرت لمدة سنة، توصل الطرفان في 17 من شعبان 1200هـ الموافق ليوم 14 جوان 1786 إلى إبرام معاهدة تألفت من خمسة وعشرين مادة. تناولت جوانب سياسية واقتصادية وأمنية بين البلدين.

البند الأول : تضمنت وقوع حالة السلم بين البلدين

البند2، 3 : والتعاون بين سفن البلدين في البحر بتقديم يد المساعدة، وفي حالة تعرضها للزوابع البحرية ، يجوز لسفن البلدين الرسو في موانئ البلد الآخر

البند 7: وسمحت الاتفاقية لتجار البلدين النزول في موانئ البلد الآخر.

البند9: كما تضمنت الاتفاقية عدم تقديم العون لمراكب دولة أخرى تكون في حالة حرب مع الدولتين المتصالحتين

المادة11: إلى جانب ذلك نصت على حرية الأسبانيين بالجزائر على ممارسة شعائر دينهم المسيحي .

ورغم أن المرسى الكبير ووهران ظلتا تحت الحكم الإسباني،ثم التوصل إلى هذه الاتفاقية، ولكن بعد طول المفاوضات بين البلدين والتريث على توقيعها لمدة سنة كاملة، وسرعان ما تجددت الخلافات بين البلدين حول بعض البنود، استمر لعدة سنوات، لكنها لم تؤد إلى قطع العلاقات بينهما . وتبودلت خلالها العديد من الرسائل بين قادة البلدين ، تناولت وجهات النظر حول الاتفاقية ومراجعة بعض البنود وغيرها من القضايا، خاصة التي كانت تهم أمن أسبانيا في حرصها على منع الغارات على وهران من قبل باي معسكر، وسعيها لإبرام صلح مماثل مع تونس. إلى جانب قضايا أخرى منها حركة سفن البلدين في البحر المتوسط، وما يقع بينها في بعض الأحيان من مناورات وصدامات، تؤدي إلى حجز بعضها من هذا الطرف أو ذاك ..

**3 ـ معاهدة 1791 وجلاء الأسبان عن وهران والمرسى الكبير :**

رغم ما توصل إليه الطرفان في إبرام المعاهدة السابقة؛ إلا أن التوتر ظل قائما، وخاصة من الطرف الجزائري الذي لم يهنأ له بال مادام الأسبان يحتلون وهران والمرسى الكبير.

تعرضت مدينة وهران إلى زلزال ضربها في ليلة 8 – 9 أكتوبر 1790، وقد ساعد حادث الزلزال الجزائريين في فتح وهران، حيث استغلوا ما أحدثه من تدمير للمنازل، والأضرار التي لحقت بالحصون والقلاع المنيعة التي كان يتحصن وراءها الأسبان . فعلى سبيل المثال كان الجزء العلوي للقصبة بمدينة وهران الذي يحتوي على أهم المراكز الرئيسية للقيادة الأسبانية بالمدينة، مثل قصر الحاكم ، والثكنة العسكرية ، ومنشآت العلاج ، إلى جانب الكنائس قد دمرت بشكل كبير. وما ترتب عنه من موت حوالي ثلاثة آلاف من السكان والجنود، وحالة الهلع التي عاشها من بقي منهم على قيد الحياة . إلى جانب هذا تعرضت المدينة إلى أعمال النهب من الإسبان أنفسهم.

إن هذه الكارثة الطبيعية وحالة الاضطراب الذي ساد سكان المدينة من الأسبان قد شجع حركة المقاومة على تجديد الهجوم، وكان الأسبان من جهتهم يستميتون في الدفاع عن الموقع. ولم يتمكن محمد عثمان من تحقيق أي تقدم إلى داخل المدينة، خاصة بعد وصول الدعم العسكري من أسبانيا بلغ تعدادها 7 آلاف جندي. ومع استمرار الحصار أحس الأسبان بصعوبة الموقف، مع زيادة التكاليف وإنفاق المزيد من الأموال عليها وعلى إصلاح ما فسد من الحصون. إلى جانب هذا كان الأسبان في وهران يعانون من أوضاع اقتصادية مزرية من جراء الحصار المضروب عليهم من قبل السكان، ومنع التجارة معهم.

وفي أفريل 1791 بعث الملك كارلوس الرابع وفدا إلى الجزائر ''خوينباردا'' (Guinbarda) يحمل مقترحات للتصلح وعقد معاهدة سلم . وكان رد الداي محمد عثمان يريد ضم وهران دون شروط. وبعدما توفي الداي في 12 جويلية وتولي حسن منصب الداي الحكم ، أرسل الملك الأسباني إلى الأميرال غرابينا (Gravina) الذي كان موجودا في هذا الأثناء في وهران مع أسطوله وكلفه بإبلاغ الداي الجديد موافقته على الصلح مع الجزائر بضمان الخروج من وهران، وقبوله بشروط الجزائر، فوافق الداي الجديد على عقد معاهدة السلم . وفي يوم 12 سبتمبر 1791 عقدت معاهدة سلم جديدة بين الداي حسن والوفد الأسباني في الجزائر، تتألف من ديباجة وتسعة مواد من أهمها المادة التي تحدثت عن جلاء الأسبان عن وهران. صادق عليها الملك كارلوس الرابع في 16 ديسمبر، وبدأ الجلاء عن وهران والمرسى الكبير في اليوم التالي ( 17 ديسمبر) وانتهى في يوم 24 فيفري 1792. وفيما يلي مختصر لبنود الاتفاق :

1 ـ أن تنسحب أسبانيا من قاعدة وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط وتسليمهما إلى إيالة الجزائر.

2 ـ تقوم أسبانيا بدفع مبلغ مقداره 120 ألف فرنك في كل سنة لخزينة الجزائر

3 ـ يسمح للأسبان بإقامة مؤسسة تجارية بالغزوات.

4 ـ يسمح للأسبان بشراء ثلاثة آلاف كيلا من القمح والشعير ومحاصيل زراعية أخرى سنويا من الجزائر .

5 ـ يسمح لها بصيد المرجان على الساحل الغربي من الجزائر.

6 ـ أن تحمل سفينة أسبانية إلى اسطنبول مفتاحين ذهبيين وجرتين من ما عيون وهران كمركز لاستردادها.

7 ـ إخلاء المدينة من جميع ما فيها من سلاح وذخيرة، التي كانت قد غنمتها منذ استيلائها على مدينة وهران والمرسى الكبير ، يوم خروج الباي مصطفى بوشلاغم منها عام 1732.

8 ـ يترك الخيار إلى الأسبان لتهديم ما بنوه منذ عام 1732.

9 ـ يسمح للسكان الأسبان البقاء بمدينة وهران لمدة أربعة أشهر ابتداء من يوم إمضاء عقد الصلح .

كانت هذه المعاهدة مرهقة لأسبانيا حيث ألزمتها زيادة عن الجلاء عن وهران والمرسى الكبير ، أن تدفع ضريبة سنوية قدرها 120 ألف فرنك ، إلى جانب هدايا مختلفة تتكون من أسلحة وسفن وعتاد بحري ، وأن ترجع إلى هران المدافع والقاذفات والذخائر وجميع المعدات الحربية الأخرى التي لأسبانيا في مدينة وهران نقلتها قبل خروجها إلى قرطاجنة في أسبانيا . وهناك شروط أخرى فرضها الداي حسن على كارلوس الرابع تتمثل في حمل مفتاحين من ذهب لمدينة وهران وجرتين من ماء عيونها إلى اسطنبول لتقديمها إلى الخليفة العثماني سليم الثالث .